# السودان..
# رئيس مع إيقاف التنفيذ

٤

## الفصل الرابع

## رئيس مع وقف التنفيذ

obeikan.com

obeikan.com

# رئيس مع وقف التنفيذ

■ ■ ■

**«الديمقراطية عملية تمكن الناس من اختيار الرجل الذي ينال اللوم».**

**برتراند راسل**

أذكر أنني ليلتها تأملت خارطة السودان، نظرت إلى مدنه وتوزعها على خارطته وسكانه على امتداداتهم، حدقت في خارطته وأنا أعلم أن كل خط فيها بألف معنى وذكريات لا تحد و معارك و«جوديات» ومبادرات و تصالح و وثائق، تذكرت تاريخه منذ آلاف السنين قبل ميلاد السيد المسيح، مرورا بكوش ومروي و السلطنات المتتالية والمتعاقبة؛ تأملته برؤية من سيكون قيّماً عليه، استحضرت امتداداته الدينية و تعدده الإثني، استحضرت ممالك الأقدمين و حكاوى أهلي ومآثرهم، تذكرت كثيراً جدي الولي الباسبار، استحضرت تراث حزبي الاتحادي الثر الذي أفاخر به، وطنٌ زُين جيده بباهيات الخصال كقلادة عز يستحق أن أقف على أعتاب قصر مُلكه ملياً، مضى بي شريط الذكريات مروراً ببطولات الحركة الوطنية الخالدة و انجازاتها، إلى أن وصلتُ إلى صورة الزعيم الأزهري و ساعة رفعه لعلم الاستقلال تأملته حتى حسبت أني من رفع العلم، وقفت وقفة الإجلال أمام مولانا السيد علي الميرغني أو «سيدي علي» كما نحب أن نقول، تنبهت أن الحزب قدمني اليوم لمهمة صعبة، فنفس الحزب الذي أمثله قدم بالأمس رجلاً بقامة الزعيم الأزهري! و الرجل الذي بارك الزعيم الأزهري بالأمس هو مولانا السيد علي الميرغني، والرجل الذي باركني هو مولانا السيد محمد عثمان بن مولانا السيد علي!، تلك مقارنة لا أطيقها، ولكنهم يفعلون!.

تذكرت فيما تذكرت مولانا الميرغني في تأبينه للزعيم الأزهري وهو يقول «إن الراية

التي رفعها الزعيم الأزهري لن تسقط» وهذه الراية وهذا الوعد يبدو أنه يحال لضمانه.

لم يكن جديداً عليّ أن أعرف أن حزبي اختارني لمقام كان يشغله رجل بقامة الزعيم الأزهري و قائد بقامة مولانا السيد أحمد الميرغني، فهما من تم اختيارهما خلال الديمقراطيات من قبل الاتحادي ليشغلا منصب الرئيس، وهما من صاغا وجدان أجيالٍ اتحادية أقف أنا اليوم بإرادة الله على طليعة أحدها، ها هو اليوم حزبي يفعلها من جديد ويريدني أن أكون مثلهم، ملهماً للجيل، كانت ليلةً صعبة، أذكر أنني كم تمنيت لو أني لم أفكر في الأمر فقد أصبح هاجساً، فأنّى لي أن أتسامى و أقف رصيفاً لأسماء خالدات في تاريخنا بقامة هؤلاء الرجال، ومما زاد الأمر صعوبةً أني أعرف السيد أحمد الميرغني عن قرب وأعرف عظمة الرجل ومقامه الذي لا يدانيه مقام، أحفظ أنهم نقلوا عن سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لقد أتعب أبوبكر من بعده، و كم أتعبني أن يجعلني حزبي مرشحاً لمقام كان يشغله رجل بنبل وتسامح وشرف وسمو السيد أحمد الميرغني، حسبي أني عاصرته وتعملت منه الكثير ولعلي فهمت الآن أنه ربما كان يُعدني لمثل هذا اليوم، وكان أملي أن الذي بارك السيد أحمد الميرغني هو من يباركني و هذه المباركة أكبر دافع نفسي لتلقي هذا التحدي.

رضيت بقضاء الله وقدره، وأخذت منسأتي ورفعت عصاتي، واعتبرت أن الأمر في كليته تكليفٌ حزبي جديد، ولا يعدو إلا أن يكون كسابقاته، فقد تعودت أن أصبح وأجد الحزب وضعني في ثغرة من ثغور الواجب فما كنت استنكف أن أحمل ما يعينني عليها وأمضي؛ ولم أعتد أن أسأل لماذا أو أين، فإني قد نذرت الحياة أصلاً خدمةً لهذا الحزب ومبادئه التي تمثلني وتمثل قومي من ديمقراطية ومحبة وسلام، لذلك كان القرار باعتماد ترشيحي رئيساً للجمهورية امتدادا لتلك التكاليف الحزبية، البعض يظنه تشريف لي باعتباري مرافقاً دائماً لزعيم الحزب وأحد محبيه وخزانة سره، و أحد الذين يعتمد عليهم «فيما يرون»، وتلك تهمة لا أنكرها وشرف لا أدعيه، و لكني كنت دائماً أعتبر أن التشريف تم وانتهى منذ أن اصطفاني مولانا الميرغني لمعيته، وذلك وحده كان بمثابة تشريف ما بعده تشريف، وكل ما تلاه فقد كان تكليفاً شاقاً، حتى تلك التي تقلدتها بحكم الممارسة الديمقراطية، كانتخابي لأمانة الإعلام أو حتى التي جاءت اصطفائية كاختياري ممثلاً

للحزب في التجمع الوطني الديمقراطي (سنة ٢٠٠٠م)، فقد تقبلتها كلها بروح التحدي، وغالبتها بإرادة النجاح، أذكر أنني كنت أجعل حقيبة سفري جاهزةً للترحال في أي لحظة فمتى جاء النداء لبيناه بلا مراجعة، فكم من ليلة اتصل بي ودعاني الداعي للتوجه للمطار لمهمة في أحد الدول الإفريقية أو الأوروبية أو العربية أو أمريكا فما كنت أفعل سوى أخذ أوراقي وقصد السفر ملبياً النداء.

أخذت الأمر بأنه تكليف حزبي، ولكن بروق الماضي كانت تطل، و الإنسان هو الإنسان تتنازعه أمور كثيرة، وأنا بشر مثل البشر، لا يعني كوني وقفت ضد صلف الشموليات أني لا أخاف، ففي القلب شئ مثل الخوف دائماً، هو ليس خوف كما يعرفه الآخر، ولكنه قلق من أن لا نحيا صناعة المجد و لحظة الحرية، تردد بين الحياة للوطن والموت لأجله وذاك تعبير سنعود عليه لاحقاً، توالت عليّ الاتصالات وقطعت لحظات توجسي وتأملي لما أقبل عليه، لا أنكر أن الطيبين الذين يتحلقون حولنا ويساندون بعبارات يرونها عادية، لهم فضل لا نستطيع وصفه، منهم نستمد طاقتنا لمقاتلة الطغيان ودباباته، ومن ابتساماتهم نرى في أنفسنا أبطالاً لأننا لا زلنا نحمل الابتسامة.

الاتصالات كان لها أثر كبير، توالى الناس عليَّ وهم ينادون (السيد الرئيس نبارك) كان لفظ السيد الرئيس مربكاً فأنا تعودت على ألفاظ أخرى الأستاذ، الشقيق، المناضل، الأخ، الحبيب، تلك المسميات الودودة التي تعكس لك تقدير الناس لما تقوم به وقدر مشاركتك لهم في هدفهم في بناء الوطن الديمقراطي، هم الآن وبمجرد الترشح وصلوا لمرحلة أن أقاموك قيّماً على حلمهم، إماماً يريدون أن يكون البطل بين لحظة وضحاها، مدوا إلي بسيفهم وقالوا اقتل الأسد!.

«السيد الرئيس لا نقبل منك تراجعاً ولا تهاوناً القصر قصرنا نحن بنيناه ويجب علينا أن نعود إليه لنرتب سودداننا».أ.هـ

كان ذلك صوت شيخ ستيني يتصل من إحدى دول المنفى، تلك الدول التي استقبلت واستقطبت خبرات السودان الطويلة وآوت أبناؤه، منذ أن هجّرهم حكم المشير جعفر نميري في بداية السبعينيات و منذ أن هجَّرهم انقلاب الجبهة الإسلامية بقيادة

(د.الترابي- العميد البشير) «على الترتيب» في الثلاثين المشؤومة من يونيو ١٩٨٩م، لم أعد أستطيع أن أحمل أفكاري القديمة التي تتحدث بغضب عن الوضع، أنا لا أؤمن بممارسة السياسة في ظل الدكتاتوريات، لا أعتقد أنه يجدي أن نتحرك في هامش يطرحه النظام، لا أصدق أنني قد أكون رأس رمح في انتخابات ديكورية، لكني ملزم الآن أن أحمل هذه الأحلام العراض التي يبذلها هؤلاء، بقدر إيماني بضرورة مقاطعة الانتخابات إذا لم تستوفي الشروط الديمقراطية أنا مطالب بأن أتحرك باسم حزب حاز في آخر انتخابات ١٩٨٦م على أعلى شعبية عددية ، لقد أصبحت الآن مجبراً على خوض الانتخابات نزولاً لرأي الجماعة فقد وضعوها الآن على عاتقي.

كانت اللحظات الأولى هي الأصعب، فقد رأيت دموع الشيب و الشباب وآمالهم، لم أكن أظن أن اختيار رئيس من الإتحادي سيحمل كل ذلك الطغيان العاطفي الغريب كل هذا الفوران من المشاعر والخطب، لم أكن أظن أنه سيفجر ذلك المداد المتفرد من المحبة، كانوا كمن يبحثون عن طوق نجاة و قدم الإتحادي لهم «حاتم السر» طوقاً للنجاة، جعلني الإتحادي أحمل أحلاماً لا يقوى على حملها أحد، أصبح الشباب الإتحادي يتقاطر على رأس كل ساعة عليَّ، كنت في داخلي أتمنى لو أن عيناي كاميرا لتصور ما أرى، حتى يعلم الذين يدعون أن الإتحادي يعيش عجزاً في شريحة الشباب، من جاءني في الساعات الأولى كانوا شباباً في زهور العمر بهم حماس يهد الجبال، لم يكن بينهم اتفاق واضح في الملامح أو الجهات، جاءوا بعفوية لم يكن بينهم أي تنظيم أو اتفاق مسبق، جاؤوا زرافات و وحدانا، ولكن كان لهتافهم دوياً هزني قبل أن يهز السودان كله، حتى قبل أن أتخذ قراري بالمضي في أمر الانتخابات اتخذوا هم القرار و أعلنوا النتيجة، لم أرتب أوراقي لربح المعركة، نعم كنت مخلصاً لترتيب أوراق الحزب و رسم سيناريو انتصاره، لكني لم أكن أتخيل أن أكون أنا المرشح وأنا الفارس وأنا المنتصر!، كان هتاف أولئك الشباب داوياً هزّ أعماق قلبي وأدهشني، ولا زال إلى الآن يدوي ولا أحسبه سيصمت قريباً، لم يكن يحمل الكثير من المفردات ، كانوا يصيحون «حاتم حاكم للسودان »، «عاش أبو هاشم عاش أبو هاشم»، «يا إنقاذ زمانك ولى نحن الحزب الصنع الدولة».

الهتاف هو أحد أبلغ التعابير عن مكنونات النفس، عند الحوجة إلى الصراخ، التوسل

إلى الأحلام و الآمال بعالي الصوت، في لحظة ما يرتسم الوطن العادل السالم المسالم المتحد لذي يعيش فيه الناس آمنين، يرتسم على هيأة حلم يجسده رجل واحد، قائد واحد ، في صورة منقذ، لم يكن شعور هؤلاء الشباب غريباً علي، فقد عشته بحذافيره قبل أكثر من عشرين عاماً، يومها وقفت هناك وهتفت هتافات على شاكلتهم عاش أبو هاشم، هتفت بحياة رجال، وانتصرت لهم وشاركتهم معنى النصر، هتفت في نهر النيل «ولاية بشمال السودان» بحياة أبطال مثل الشيخ علي عبد الرحمن والدكتور أحمد السيد حمد ونحن في مقتبل العمر.

عشت عمري كله وأنا أرى ذلك القائد الذي يهتف له هؤلاء الشباب متمثلاً في شخص السيد محمد عثمان الميرغني، كنت أحس مثل هؤلاء الشباب وأعيش مثلهم وأهتف مثلهم حينما يزيد الطغيان «عاش أبو هاشم» حينما كان الجيش يهزم في الكرمك وقيسان كان صياحنا عاش أبو هاشم ، وكان رده يأتي على الأرض فيحررهما كما الأسود تنتزع الحق لشعبها في الحياة، حينما أصبحت الحرب مرضنا صحنا عاش أبوهاشم فانتزع اتفاق السلام مع الراحل العزيز د.جون قرنق، فأبو هاشم حينما أهتف له هو دواء العلل و رمز العدل، حينما تضيق الأرض كنا نصرخ عاش أبو هاشم ، فأبو هاشم هو باب السماء، فعلام يهتفون لحاتم هؤلاء!.

إنهم اليوم يربكونني بقولهم «حاتم حاكم للسودان»، لو أنني لم أكن واحداً منهم لما ارتبكت، لحظتها قررت أنه لا يجوز التراجع قيد أنملة فحملت أحلام الجماهير ومضيت بها، ذهبت إلى الشارع جبت الخرطوم كلها وزعت أحبابي على مدن السودان، أنا أحفظ شوارع غالب مدن السودان، ولدي تقارير دورية و وافية عن كل حراكها، لكنني الآن كحال لاعب الكرة الذي فاجأوه «أنك غداً ستكون قائد الفريق»، يزيد من إحمائه ويضاعف من استعداده، هكذا كان حالي لا مجال للنوم ولا سبيل إليه.

النوم؟ لا يجوز لنا النوم، منذ أشهر ونحن نغالب، كنا بالرغم من الإرهاق نترنم بقول المتصوفة؛ قالت أرباب الديباجي قل لأرباب الغرام، كل من يعشق محمد ينبغي أن لا ينام، فما دمنا في سبيل هذه المبادئ الحالمة، وما دمنا في نضالنا ضد الصلف و الظلم و الديكتاتورية، فيجب أن نتيقظ أن نرفع رايات المحبة والسلام، علينا إذاً أن نكون بقدر التحدي.

كنت قبل يوم من ذلك أعلم يقيناً أنه في دولة مثل السودان لا مجال لأن تقوم انتخابات نزيهة أو عادلة، وكنا أعلنا ذلك وفق رصد دقيق للشارع ولاستعداد الأحزاب، لم تفاجئنا الانتخابات فقد كونا لها لجاناً سرية قبل أكثر من عام و حرضنا الأحزاب أن تفعل ذلك حتى تكون على استعداد، شواهد المخالفات التي نذكرها في الفصل القادم تجعلنا نقول أنه يستحيل أن تأتي انتخابات ديمقراطية، ولكن على الأقل يجب أن نستغل هامش الحرية، أن نزور ولايات السودان المختلفة، أن نعيد إحياء النشاط، فقد كان نشاطنا محظوراً لأعوام، وكان من ينشط منا ينال سوط عذاب ويلقى بنفسه في التهلكة.

حماس الشباب و طمأنة الشيوخ جعلتني أستجمع قواي من الدهشة، و بدأت أفكر بعقلانية فالسودان دولة يجب أن تستدعي في حضرتها كل ما تعرفه من تاريخ وجغرافية وعلوم، ففي السودان الرئيس ليس مجرد قائد يضع السياسات ويتلمس الرؤى الصائبة لنجدة أمته، بل يأخذ أدوراً كبرى فرضها التراث، فهو الطبيب وهو المواصل وهو الذي يواسي الأحزان ويُنظر إليه بأنه رمز الخلاص، فشعبي يختزل كل الأحلام في أشخاص يحملونها، فمثلاً الناس في الخمسينيات كانو يهتفون بحياة الزعيم الأزهري، وينسبون إليه ملحمة الاستقلال، «حررت الناس ..يا إسماعيل » بالرغم من أنهم يعلمون أن الاستقلال هو مجهود جماعي للحركة الوطنية السودانية لم يغب عن مطبخه أحد، إلا أن الرئيس بكارزميته و بقدرته على خلق القدوة والإحساس بالوطن المُجسد و الحلم الموسد، يجعلهم يرونه هكذا، أخشى أنهم أصبحوا يروني، بهذه الأعين.

## لماذا حاتم السر؟

السؤال في الشارع العام كان واحداً، لماذا حاتم السر، ومن يكون؟ ولماذا؟، ولم يكن بطبيعة الحال سؤالاً صعباً، ولكن السؤال الأصعب، هو سؤال شباب الاتحادي، وشباب الختمية، وشباب التجمع، وهو سؤال صعبٌ عليهم جداً: لماذا ليس مولانا الميرغني؟، فالسيد الميرغني قاد سفينة المعارضة، ورفع شعارات النضال الأولى ولازال هو الرئيس الشرعي للتجمع الوطني الديمقراطي، فلماذا لا يتقدم هو، وحتماً سيتنازل له الآخرون، هذا هو السيناريو المنطقي، فلماذا لم يترشح الميرغني أولاً ، و من ثم لماذا حاتم السر.

## لماذا لم يترشح الميرغني؟

الذين يعرفون مولانا الميرغني، يعرفون فيه بجانب حنكته نظرته السياسية الثاقبة، وقد يُدهش القارئ حينما يعلم أن لمولانا الميرغني فلسفة سياسية خاصة، فالميرغني «يكره» الجمع بين رئاسة الجمهورية و رئاسة الحزب، من ناحية نظرية، ويرى أنها لا تجوز في فقه السياسة إلا لضرورة،وذلك ينطوي على فلسفة قد يضيق المقام بها هنا[١]، وأشاركه في أن الرئيس ينبغي أن يحتفظ بمسافة متساوية من كل الأطراف السياسية، هذه النظرة و الفلسفة لم تظهر مفاجئةً في انتخابات ابريل ٢٠١٠، ولكنها كانت ضاربة في جذور الممارسة الحزبية، فعقب انتخابات ١٩٨٦م، و تشكيل الحكومة و خلوص منصب رأس الدولة إلى الحزب الإتحادي الديمقراطي، توقع الجميع أن يضن بها مولانا الميرغني ويجعلها لنفسه، ولكنه فاجأ الجميع بأن دفع الأمر إلى الحزب الذي اختار السيد أحمد الميرغني، ومن يومها كان السيد أحمد الميرغني مثالاً للتفاني والتجرد والوطنية، وعُرف عنه عدم انحيازه لحزب دون حزب أو فئة دون أخرى.

## التباس : الدستور و القرار،

قد تقول عزيزي القارئ وتتساءل : إذا كانت فلسفة مولانا الميرغني ثابتة و بهذا الرُسخان، وقديمة لهذا الحد؛ إذاً فلماذا طالب منسوبي الإتحادي ترشيح مولانا الميرغني، بل لماذا صرّح «حاتم السر» غير مرة بأن مولانا الميرغني هو مرشح مفترض للحزب؟ ولماذا ظل د.علي السيد[٢] يقول أن مولانا هو المرشح الدستوري للحزب؟، وهذا سؤال من حقك علي –عزيزي القارئ– أن أملكك جوابه، و هو أن دستور الحزب ينص بأن السيد رئيس الحزب هو المرشح الرئاسي لأي انتخابات أو من يختاره رئيس الحزب، وهذا

(١)عرف عن السيد أحمد الميرغني ، أنه كان يرد على من يسأله أسئلة تخص الاتحادي الديمقراطي «أنا هنا رئيس لكل السودان بكل أحزابه، و إذا أردت جواب الاتحاديين فأنا واثق أن لهم لسان يستطيع الرد عليهم في دارهم، ولكني هنا في منصب قومي، ولا يليق خلط الأمور».

(٢)تعريف به،

النص ينتظم كغالب المواد التي تأتي لسد الثغرات وتأمينها، فحسماً لأي خلاف و منعاً له، ففي البداية المرشح «الافتراضي» للحزب هو «رئيس الحزب» الذي هو سيادة مولانا الميرغني؛ وهي واحدة من آليات الضبط والاحتراز من الوجود في محيط مضطرب والحد من تأثيره على السياق الحزبي، و أيضاً هو توقع للضرورات والطوارئ، فمن المعروف مثلاً أن الحالات الطارئة تُجبر «الدول والمنظمات والأحزاب» أن تفوض قيادتها للتصرف والقيادة والريادة وهو ما قد يسمى أحيانا «حالة الطوارئ»، وحتماً فإن ورود ذلك لا يعني أنها خيار محبذ ولكنه يعني أنها خيار طارئ يجوز اللجوء إليه، و بالطبع من الممكن أي يُساء استغلال الخيارات التفويضية، إذا لم يكن القائد مؤمناً بالديمقراطية إيماناً حقيقياً، فهي تكرس السلطات في يد الرئيس لفترة طويلة وتعود إلى أصولها النيابية أو المباشرة بتدريج بطئ تفرضه ظروف العودة إلى الحالة الطبيعية، و من حسن حظ الإتحادي أن في صدارته كان و لازال مولانا الميرغني المعروف بإيمانه بقيم الديمقراطية وممارستها، فهو قدم للعالم الدرس تلو الدرس في هذا المضمار، فهو قرر من جديد أن يُعيد الأمر للحزب ليدفع بمرشح رئاسي جديد، غيره. ليس زهداً منه فحسب بل إنه ترسيخ لسلوك وترقية لمبدأ.

كما ذكرت عاليه فإنني كنت برغم ثقتي بأن الإنتخابات لن تكون ديمقراطية وستشهد نوع من التزوير –الذي بنيته على شواهد كثيرة– كنت أجد في نفسي نوازعاً تتمنى أن يُرشح مولانا، فقد كان في تخيلي الذي كنت أعتبره أسوأ الظن في حسبان ما سيكون، أن التزوير سيكون بنسبة «معقولة» لن تتجاوز بحال من الأحوال إضافة ١٠٪ من الأصوات لمرشح ما (أي خصم ٧٪ إلى ١٠٪ من الإتحادي الأصل) فترشيح مولانا كان في نظري سيجبر هذه النسبة، فلمولانا كاريزما غريبة و له جاذبية لا تخفى على أحد، و يشع منه ما يجذب القلوب و يذكرهم بطيب عنصره وضواء معدنه.

وغير ذلك فإني كنت أعتقد أن ترشيح مولانا في حد ذاته يُعتبر تتويجاً لجهاده ونضاله الطويل، ولكنه صوفي زاهد يأبى على الدنيا ولو جاءته بزُخرفها!، وله فلسفة في الممارسة الديمقراطية لا يحيد عنها ولو طرقت بابه رئاسة الجمهورية طائعة مختارة.

إذاً رسالة مولانا الميرغني الأولى وصلت، بأن لا نعين الشيطان على أنفسنا فنجمع بين الرئاستين (الحزب والدولة) فنميل كل الميل للحزب على حساب الدولة، وأن ندفع الأمر إلى هيئة حزبية معتبرة تحكم فيه.

## يبقى سؤال آخر لماذا بارك الحزب و الرئيس «حاتم السر»؟

هناك نظرية تُلاك منذ منتصف التسعينيات، تنبئ بأن الإتحادي حزبٌ لا شباب له، وأنه سيتلاشى بتلاشي القيادات لانعدام حلقة تواصل الأجيال و استمراريتها المنطقية، تضاعفت تلك النظرية وبدأت للبروز حينما توفي محمد عثمان أحمد عبدالله واضطرت الحياة كثير من الشباب إلى النضال من وراء جدر، و انتشرت النظرية حتى أصابت بعض المنصفين ظناً منهم بصدقيتها، بل أن البعض في أيام فورة الإنقاذ وصل بها العمه والطغيان أن قال« حينما يعود الميرغني إلى السودان لن يجد من يستقبله غير ثلة شيوخ»، و كنت بطبيعة الحال أمثل جيلاً شاباً مدعىً عليه بأنه منقرض، فكان ترشيحي رسالة مزدوجة، لشباب الإتحادي من ناحية و للمغرضين من «نواحي» أخرى، فشباب الإتحادي قلده الحزب الراية فأبان بذلك للناس أن الشباب لُحمة الحزب وسداه، وأنهم قوامه، فجعلهم في امتحان عسير، وتحدي مثير، فكانوا فرساناً بقدر التحدي فتحولوا إلى طاقات جبارة، ومكينات عمل لا تكل، أدهشت كل الناس بمن فيهم أنا، بل بمن فيهم هم، فأنا أزعم أن كل اتحادي عمل في الانتخابات الأخيرة أحس بعظمة ما نستطيع فعله وقوته وقدرتنا على التأثير، هذا انعكس رسالةً إلى المغرضين، أن الحزب العملاق بخير وأن وجهه كريم مكرم، وأنه موجود في الأجيال في ضئضئ مصون، و هنا أستحضر إحدى المشاهد التي حفرت في ذاكرة الكثير من الاتحاديين، وهو مشهد لطيف لا تحيط بجماله عبارة ولا تكفي لذكره إشارة، فأنى للكلمات أن تصف شعوراً هيجته أهازيج الأطفال، أذكر أننا كنا في طريقنا للزيارة التاريخية إلى قلعة الاتحادي والختمية الأصيلة «كسلا السيد الحسن»، وكان معبرنا إليها من مطار الخرطوم الدولي، وفي الطريق إليها كانت لفتة الجمال البارعة ،ففي أحد مصاف المطار اصطفن مجموعة من الأنيقات الصغار، لفتن نظري بوجودهن المعبر، صغاراً حملن رمز الكبار، فصرن أكبر منهم، كن يحملن أعلام الحزب وصور زعيمه

وشخصي الضعيف، لا أحد يتخيل كم كانت هذه الصورة مصدر طاقة فياضة بالنسبة لي.

«أن ترى صورتك في عيني جيل قادم، أن تكون جزئاً من حلم الأطفال بوطن يمنحهم حقهم في طفولة هانئة، تعليم جيد، مرافق صحية نظيفة، أن ترى صورة مولانا الميرغني في هذه الأيادي الصغيرة فتلك معاني كبيرة، ذلك يمثل رمزاً فخيماً، معناه وترجمانه ببساطة أنك مطالب أن تعمل بجد حقيقي لتكون أهلاً لأحلامهم، ربما يتطلب منك الأمر أن تكون Superman وعليك أن تكون كذلك!، لأنهم بكل براءة اختاروك من بين العديد من الناس، واختيارهم هذا أمانة ودين».

**كان لسان حالهن يردد رباعيات شاعر الوطن والحزب سيد شعراء السودان الشاعر الدكتور أصيل التى تقول أبياتها :**

سموك حاتم علي رمز الكرم والجود
وأبوك السر خليفة الفي الحرم مشهود
أقدل في المحاص بجناحك المفرود
وما أظن الرخم ياكل معاك.. يالدود
.....
سموك حاتم.. في شان نصرك اكيد ومحتم
وتاريخك مجرتق بالدما.. ومختم
بلدنا اتيتمت.. ليلا المكوزن عتم
واياك مرواد عماها.. واياك بدر التم
.....
الباشاب جدودك والولي الباسبار
حلق في السما ولا يهمك الباجبار
خوجل في المحاص بي توبك الجرجار
سيد ملكا قديم.. حاتم بجيب التار

.....

البتقولا بتسويها.. ما بتهدد

ما بتضل.. معاك ابو هاشم المتحدد

السودان بحر خيرو الكتير متجدد

وشايفك من بعيد زي ابكريق متمدد

.....

حزب الاتحادي الاصلي اصلو مركن

خيلو مأصلة وزي الصقور اتفكن

ناس المؤتمر في اللفه خيلن جكن

ومتحول كبيرن في الحداره مجكن

.....

ديل عشرين تماما ونحن مخنوقين

وديل عشرين عجافا ونحن مسروقين

المال مو فزع ما بكاتلو ملكوزين

افطر بالكبير.. واتغدي بالكوزين

.....

يمين الاتحادي الاصلي.. مو متندم

يقطع من حشاهو ويرقع المتهدم

نحن ان عشنا بنجود بي سخا ونقدم

وان كوعنا.. فوق عزا قديم متردم

.....



obeikan.com

يالانقاذ مصيبتك انتي من فتحت
اتلجيتي بالرشوات ومال السحت
بعد ماشبعت من ثدي الحرام ونتحت
بقيتي ملايكة يالانقاذ.. وجيتي نصحت
.....
كل ما إنشق واحد راسو فيهو شقيقة
تهزَبو إنت لكن مابفكلو ضيقة
لميت التمور النية والدفيقة
معا تمر الهبوب المابفكلو ريقه
.....
وين مايو..ووين اب عاج.. وين عبود
ثورات بالكضب.. والصح مصيرو يعود
يالانقاذ شدرتك باقي فيها العود
اختمي بالشهادة.. ووحدي المعبود
.....
دا حال المؤتمرجية الجيوبه ملانه
قالو بسيطة.. نرشي فلان وندَي فلانه
قايلين بشتروهم بالفلوس والهانه
ما بياكلو الحرام لو يسكنو الجبانه
.....
فوق كم يا المؤتمرجي بلا فهم متنبر
لاك سيد في الخلا ولا في البحر متشير
قولك في مديح حالنا الصبح متعبر



obeikan.com

زي القام بعد حرجم ضبيحتو.. يكبر

.....

ما بنقلب الدرّاب ... وما بنصدق الكضاب

و النطانا بالشباك مابنفتحلو خشم الباب

شوفو المؤتمرجي الماكر الملعاب

غير اسمو تاني...وجانا بالقرباب

.....

السودان امانة.. ونيلو حقك وحقي

ممهور بي دمانا ومن قديم متسقي

ارادتو مزورة ومن ظلمهم متشقي

كان فرشوها..شعبنا في الضلمة ينقي

.....

حلمك يابلد الليلة بدا يتحقق

ديموقراطية تشفي جليدك الاتبقق

الانقاذ خلاص بنيانا بدا يتشقق

حاتم قطع الرقابة.. والسر دقق

.....

رصيدكم في البنوك سندات ومال مسروق

ونحن رصيدنا حبا في القلوب مدفوق

هي لله.. هتافا حالي المنطوق

دخلنابا المساجد وانتم دخلتو السوق

.....



obeikan.com

سموك نافع وماك نافع ولا بتنفَع
وما بنحط معاك شرف الكريم.. مترفع
من وين جيتنا يا قط الخلا المتصفع
تسب الجدو نبيا في الخلايق يشفَع
.....
يا سوار الدهب.. اصبح سوارك فالصو
بعت الانتفاضة رخيصة حقك خالصو
عشر تالاف مرتب في المنظمة حارسو
التاريخ.. بدينك.. انت والبجالسو
.....
شعب الانتفاضة الحرة.. مابتدجن
هو الشعب المعلم والشعوب يتهجن
الدكتاتور جلدنا وشال حقوقنا وسجَن
بنكسَر قرونو والعضام بترجن
.....
دي معركة واضحة للشعب الجسور.. وجلية
بين جبروت تفرعن وبين ديموقراطية
بين الجبهجية الحكمو بالذندية
وبين احرار.. يحملو شعلة الحرية
.....
استر عورتك يالمؤتمر واتغت
الاستحو ماتو.. واريتك زيهم لو مت
رؤوس الفتنة ديل والخانو للكسكتة



obeikan.com

جونا مرشحين والريحة ماليا الحتة

.....

يالانقاذ جمعتي الكوز معا الاتكوزن

بقيتي نشاذ علي الوتر الجنايزي مدوزن

الجايبو الدرب والاصلو جاي مكوزن

يحلقو زي بغاث الطير..ويسقطو جوزن

.....

السودان موحد.. في القلوب منقوش

جنوب وشمال عليك حادبين رموح ورموش

كلام المؤتمر في الوحدة كلو طيش ورتوش

قصدو الرئاسة.. حتي ان كان حدودا الحوش

.....

يا أرض السلام الليلة هشي وبشي

من الحرية انضحي بالعطور واترشي

ارحلي يالغبائن الأصلو مابتنفشي

مادام الوطن بالفرحة نام متعشي

عوداً على ذي بدئ فإن الاتحادي أرفق رسالتين مهمتين بترشيحه لجيلي، وأظن أنهما وصلتا وبدرجة تفوق عالية،و كما ذكرت فإنه لمن المفارقات أيضاً أنني ربما كنت من أكثر الأصوات داخل الاتحادي توجساً من أمر الانتخابات في ظل نظام البشير دون إجراء تغيير حقيقي في هيكلته أو طريقة إدارته، فقدمني الحزب لها و بطبيعة الحال كنت ملزماً بقراره، ففي الديمقراطية يجب أن تقول رأيك بكل الوضوح والصرحة وتدافع عنه حتى آخر رمق، ولكنك يجب أن تلتزم برأي الجماعة كما كنت ستلتزم برأيك، التزامي هذا لم يلغ أن رأيي القديم كان سلبياً، فأحياناً كنت أظن أنني أسيء الظن بالنظام، ولكن كل مرة يبالغ النظام

حتى أنه كما قال محمود محمد طه «فاق سوء الظن العريض»، وأظنني لو استدبرت من أمري ما استقبلت فسأستكثر من سوء الظن بهم! فذاك أقرب، الذي أؤكد عليه أنني لم أبن مواقفي عن عاطفة ولكنها كانت عن قراءة سياسية واضحة.

فمن الهواجس التي كانت تتملكني أنني أعلم أن إجراء العملية دون مستحقاتها الطبيعية، سيكون بمثابة قنبلة موقوتة «قد تعيد إنتاج العنف كما تم في بعض دول الجوار»[1] وهذا خطر يتهدد الوطن وأمنه وسلامته، لذلك كنت أؤكد أننا من حيث المبدأ نحن ضد انتخابات «الترقيع» و الترضيات والديكور، وأكدت رفضنا لانتخابات «نتائجها محسومة ومعدة سلفاً»، لكن فقه السياسة يعلمنا أنها «فن الممكن»، فنحن سنبذل أقصى ما نستطيع لنجدد القواعد و نعيد بث النشاط و ترقية العمل، فبعد الركود الجزئي الاضطراري سنستغل هامش الحريات لنعيد القديم، وهو ما سيضيق به ذرعا «القوم»، كما سنورد بعد حين.

الغريب أن البعض كان يفهم من تصريحاتي التي تنتقد الاعوجاج الواضح في قوانين الانتخابات والتلبيس الذي يحدث فيها بأنه خوف من الانتخابات، ولكأنهم لا يعلمون ، «ان الذي يخشى من الانتخابات الديمقراطية هو من يفتقد للسند الشعبي وذلك الذي يستند على الشمولية العسكرية .« وهو الذي انقلب على الديمقراطية، وهو الذي يعزز وجوده بالقمع و رفض أي حوار مع الآخر، ولكأنهم لا يعلمون أن الاتحادي «حزب انتخابات وليس انقلابات، وأن طريقه إلى الحكم منذ الاستقلال يأتي عبر البرلمان والممارسة الديمقراطية»، لذلك فإننا حينما كنا نتحدث عن قضايا مثل كيفية خوض الانتخابات، و تداعيات سلطة المفوضية في تأجيل الانتخابات، و نثير الجدل حول التعداد السكاني، ترسيم الحدود الجغرافية للدوائر، السجل الانتخابي، وكيفية التصويت في ظل القوانين الحالية، و سبل توفير الفرص المتكافئة للمرشحين في الإعلام الرسمي . فإننا نتحدث عن مبادئ نريد أن نرسم لها، ونوضح أنها تحتاج مراجعة، فإن أهم

(١)شهدت الانتخابات في زيمبابوي ، كينيا ، أحداث عنف دموية تسببت في مقبل عشرات الآلاف وأوقفت عجلة التنمية في تلك البلدان.

مستحقات قيام الانتخابات ،توافر الظروف الموضوعية لتحقيق وحدة البلاد والتداول السلمي للسلطة، فنبهنا كثيراً إلى أن سيادة ووحدة البلاد تتعرضان إلى مهددات خطيرة، أبرزها الوضع في دارفور وعدم الاستقرار في الجنوب بجانب انتشار ما يقارب الـ ٣٠ ألف جندي أممي، وتداعيات قرار المحكمة الجنائية الدولية.وحينما كنا نتحدث عن قضية كنتائج التعداد السكاني، كنا نحذر من مشاكل كبيرة، وقلنا بان العملية التي لم تشمل كل البلاد فبالتالي أثارت لغطاً وجدلاً واسعاً، ولا يمكن بحال من الأحوال التذرع لذلك بأن التعداد «عملية فنية بحتة» ،إذ أن ذاك عمل سيادي يتطلب الشفافية والدقة، واستدل على ذلك بأن منطقة حلايب التي ظلت دائرة جغرافية منذ أول انتخابات خرجت من عملية الإحصاء الأخيرة . وفي الحقيقة فإن هذه الهواجس لم أنفرد بها وحدي بل أن لجنة الانتخابات في الحزب كانت معبرة جداً وصادقة في التواجد مع هذه الهواجس. أنظر :مذكرة لجنة الانتخابات بالحزب الاتحادى لمفوضية الانتخابات